النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٣٨ / ١٩٩٩
الأحد ١٩ أيلول
الأحد بعد رفع الصليب
تذكار القديسين الشهداء
طروفيموس وسباتيوس ودوريماذن
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الثالث

الـــرســـالـــة (غلاطية ٢: ١٦-٢٠)
الإنـــجـــيـــل (مرقس ٨ : ٣٤ – ٣٨ ؛ ٩ – ١)

+ الشهيد أفسطاثيوس وعائلته

تعيّد الكنيسة المقدسة في العشرين من أيلول لتذكار القديـــس افســـطاثيوس وزوجتـــه ثيوبيستي وولديه أغابيوس وثيوبيستس، الذين استشهدوا حوالي العـــام ١١٧، فكـــانوا عائلـــة واحدة في حياتهم وفي مماتهم. وقد زاع صيت قداستهم شرقاً وغرباً، وبُنيت في روما كنيســـة على اسمهم تكريماً لهم، كما كانت توزّع العطايا الكثيرة على الفقراء يـــوم عيدهـــم تكريمـــاً لعطاياهم للفقراء والمساكين.

كان افسطاثيوس (واسمه الأصلي بلاسيدس) أحد قادة الجيش الروماني الكبار، وكـــان وثنياً، إلا أنه كان رجلاً باراً يحب الفقراء والمساكين ويوزّع عليهم المال الكثـــير. أراد الله أن يكافئه عن صدقاته بخلاص نفسه، لأن الله " يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحـق يقبلون " (١ تيمو ٢:٤). ففيما كان بلاسيدس يطارد غزالاً في رحلة صيد، وفيما كان يســـدّد

سهمه نحو الغزال، ظهر له الصليب على رأس الغزال وكان يلمع كالشمس، وخرج صوتٌ من فم الغزال قائلاً له : " بلاسيدس، لماذا تطاردني ؟ أنا هو المسيح الذي أنت تكرّمه بأعمالك دون ان تدري . لقد جئت الى الأرض وصرت بشراً لأخلّص جنس البشر. لذلك ظهرت لك اليوم لأصطادك بشباك حبي ". وقع بلاسيدس عن حصانه وغاب عن الوعي لعدة ساعات. وعندما استفاق قصد أحد الكهنة المسيحيين طالباً التعرّف على الإيمان المسيحي، فتعلّم هو وعائلته واعتمدوا جميعاً واتخذ لنفسه اسم اقسطاثيوس.

لكن الشرير الذي لم يرق له أمر اهتداء افسطاثيوس قرر إخضاعه للتجارب والعذابات نظير أيوب الصدّيق. فعندما علم الإمبراطور بأمر افسطاثيوس صادر ممتلكاته جميعها وأمر بإلقاء القبض عليه وعلى عائلته. إلا أن افسطاثيوس استطاع الهرب مع العائلة. وفي المركب الذي هربوا فيه خطف له قائد السفينة زوجته واحتفظ بها لنفسه. وإذ كان هارباً مع ولديه في البراري وقع ولداه بين أيدي الوحوش. فوجد افسطاثيوس نفسه وحيداً وقد خسر كل شيء: مركزه وأمواله وممتلكاته وعائلته. فمضى وسكن في إحدى قرى مصرحيث عمل أجيراً.

لم تنتهِ قصة افسطاثيوس عند هذا الحد. هجم البرابرة على الإمبراطورية الرومانية ولم يجد الإمبراطور ترايانوس قائداً عسكرياً يسند إليه أمر الدفاع عن حدود الامبراطورية، فتذكّر ترايانوس الضابط السابق بلاسيدس وأرسل من يبحث عنه. وشاء الرب أن يجد الامبراطور افسطاثيوس، فأسند إليه أمر قيادة الجيش، وتحقق الانتصار. وهكذا عاد لافسطاثيوس مركزه المرموق، وانعم الله عليه بأن أعاد إليه امرأته بعد أن مات خاطفها ميتة شنيعة، وعاد أولاده إذ خلّصهم بعض الرعيان من براثن الوحوش.

بم يمضِ زمن طويل حتى حلّ الامبراطور أدريانوس (عام ١١٧) مكان أبيه، فأراد إقامة الاحتفالات وتقديم الشكر للآلهة الوثنية على الانتصارات. رفض افسطاثيوس السجود للوثن معلناً ان الانتصارات تحققت بقوة الرب يسوع المسيح. لم يرق هذا الأمر للأمبراطور الذي أمر بأن يقيَّد افسطاثيوس وزوجته وولداه ويلقوا في وعاء كبير فيه زيت يغلي. وهكذا نال هؤلاء الأربعة إكليل الشهادة معاً كعائلة. فبشفاعاتهم اللهم ارحما وخلصنا آمين.

+ التنجيم والابراج والسحر

كلمة خطيئة في اليونانية " Amartia " تعني " أخطأ الهدف ". عندما يقوم الإنسان المسيحي بأعمال تبعده عن هدف وجوده أي الحياة في المسيح فهو مخطىء لأن المسيح هدف حياته ورجاؤه وعليه اتكاله في كل شيء: " كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار" (يعقوب ١٧:١). هكذا فإننا عندما ندع النجوم تقود إعمالنا ولا ندع

الله الذي خلق النجوم والسماوات والأرض وكل ما فيهما يقود حياتنا فنحن نخطىء. عندما نبحث في الجرائد والمجلات عن زاوية الأبراج ونإخذها على محمل الجد ولا نسعى وراء حكمة الله مع أننا نصلّي له، فنحن نخطىء. عندما نقوم بعمل ما أو لا نقوم به لأن المنجمين قالوا هكذا، ونغلق آذاننا عن وصايا الله فنحن نخطىء لأن يسوع، عندما مات على الصليب، جعلنا " أبناءً لله" وليس أبناءً للأبراج والنجوم.

يتباهى بعض الناس بأبراجهم ويسعون لمعرفة أبراج بعض المشاهير، وقد يخجلون بالقول انهم من أتباع المسيح ويهملون قصص مشاهير الإيمان أي القديسين الذين حفظوا الإيمان سليماً وجاهدوا ونالوا الخيرات التي من فوق. لقد علّمت الكنيسة أبناءها دوماً عدم الانزلاق في هواية الأبراج والمنجمين. يقول النبي ارميا : " لا تتعلّموا طريق الأمم ومن آيات السموات لا ترتعبوا، لأن الأمم ترتعب منها ، لأن فرائض الأمم باطلة " (١٠: ٢و٣). من يقرأ قصة النبي دانيال والمنجمين الآشوريين أو البابليين – الذين ورثنا منهم علم التنجيم منذ أربعة آلاف سنة – يلاحظ فشل السحرة والعرّافين والرقاة في تفسير حلم الملك نبوخذنصر (دانيال ٢). أما دانيال فقد التجأ الى الحكمة الله، إله السماء، الذي وحده يكشف السر:" ليكن اسم الله مباركاً من الأزل والى الأبد لأن له الحكمة والجبروت، وهو يغيّر الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكاً وينصّب ملوكاً، يُعطي الحكماء حكمةً ويعلّم العارفين فهماً. هو يكشف العمائق والأسرار، يَعلَمُ ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور " (٢: ٢٠ – ٢٢). وهناك قصص كثيرة عن استشارة ملوك إسرائيل للمنجمين وفشل هؤلاء، فيلتجيء بعدها الملوك للأنبياء ورجال الله لمعرفة الحق. في الإصحاح الثامن من أعمال الرسل نقرأ قصة سمون الساحر الذي كان يتبعه الكثيرون " لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره" (آية ١١، وبعدها عاين سيمون فيليبس يبشّر في السامرة آمن والتحق بالرسل.

القانون الكنسي يمنع التعاطي بعلم النجوم، حتى أن القانون ٣٦ من مجمع اللاذقية (٣٦٩) يقطع كل من يعمل علامة رسم الأبراج أو يبيعها أو يشتريها أو يلبسها: " لا يجوز لأرباب الكهنوت أو الإكليركيين أن يكونوا من المجوس أو السحرة أو المنجمين أو قارئي الغيب، ولا يجوز أن يصنعوا أحرازاً أو عوذاً، فإنها سلاسل لنفوسهم، وكل من يلبس عوذة منها نأمر بقطعه من الكنيسة".

لقد شدد آباء الكنيسة مع الكتاب المقدس على كون الإنسان أروع خلائق الله ليتسلّط على كل شيء في العالم. " لم يُصنع الإنسان لخدمة النجوم بل النجوم لخدمته، وإذا استدعيت النجوم لتسيطر على الإنسان يكون الإنسان عبداً لخدمه " (القديس غريغوريوس الكبير). ويعتبر المغبوط أوغسطين أن أي إنسان يعتقد أن الهنا المحب البشر يعطي قوة للنجوم لإدارة

حياتنا والسيطرة عليها ينتهك عدل الله ومحبته. وبحسب القديس يوحنا الذهبي الفم فإن هذا الإنسان يخضع الله لقدرة النجوم. وإذا كانت النجوم تدير حياتنا فهذا يعني أن لا وجود لما يسمى الخير والشر لأننا نعمل ما تقرره النجوم. " هذا يعني أن وصايا الله بأن لا يخطىء الإنسان ويقوم بأعمال الخير ما هي إلا غباوة."

في معرض ردّهم على القول بأن النجوم تتحكّم بمصائر الناس ووظائفهم وطبقتهم الاجتماعية، يذكر الآباء قصة يعقوب وعيسو (أولاد أسحق) ويسألون": لماذا التنوّع في حياة التوأمين رغم الحبل بهما في نفس اللحظة. ويسأل أحدهم كيف ينسب المنجون ولادة أحد الأمراء للنجوم في حين أنه يولد كثير من العبيد في لحظة ولادة هذا الأمير. أين كانت النجوم عند ولادة هؤلاء ؟ ويقول أب آخر ان المنجمين قالوا له ان الإنسان المولود ضمن علامة الدلو هو صياد سمك، لكنه التقى في الصحراء الكثيرين ممن هم من برج الدلو ولم يكونوا صيادي سمك.

المثل العربي المعروف " كذب المنجمون ولو صدقوا " يعبّر عن موقف جدي من التنجيم. القديس غريغوريوس النيصصي يقول إذا كنا مجرد أدوات لدوران الكواكب والسماوات فنحن بلا إرادة حرة. وإذا خسر الإنسان حريته فقد خسر كل شيء. وإذا لم يكن حراً فهو ليس إنساناً.

خوفنا أن تتحوّل ما يدّعى البعض أنها تسلية – قراءة الأبراج – الى هوس يسيطر عليهم فلا يقومون بعمل أو يتخذون قراراً لأن المذيعة قالت صباحاً أن لا يأخذ صاحب البرج المعيّن قراراً اليوم لأنه ليس يوم حظه. هذه قمة الطعن في حكمة الله الذي يشاء الخير للجميع. بدل أن نستلهم النجوم لنلجأ الى الروح القدس الملهم والمحيي وعندها نسير نحو هدف حياتنا، أي الملكوت. من يتكل على المسيح لا يخاف شيئا لأنّه أن الله يريد له كلّ الخير،رغم أنّه في بعض الأحيان قد تحصل بعض الأمور التي لا تعجبنا،ولكن هذا لا يعني أنّ الله ليس معنا.فقد يكون سمح بها لخيرنا وتعليمنا وتأديبنا.

+ من قوانيننا:

+ إن الذين يسلّمون انفسهم للسحرة أو لرؤسائهم ليطلعوهم على ما يريدون كشفه من الخفايا،فليكن المذكورون كلّهم،حسب القوانين التي سنّها الآباء مؤخراً بسببهم، تحت حكم السنوات الست (أي لا يسمح لهم بتناول جسد الرب ودمه طيلة هذه المدة).ويقع تحت هذه العقوبة ذاتها الذين يتجوّلون ومعهم الدببة وغيرها من أنواع الحيوانات لتسلية السذج وإيذائهم. ومثلهم أيضاً الذين يقرأون البخت والفأل ويتحدّثون بالأنساب وغير ذلك من الهذيانات غشاً

واحتيالاً،وهكذا الذين يدّعون قراءة النبوءات من السحب والمعزّمون وموزّعو التمائم والسّحرة.

وكل من واظب على مثل هذه الأفعال ولم يرتدع عن هذه الشعوذات والأخاديع اليونانيّة نعلن وجوب طرده من الكنيسة كما يقول الكتاب المقدّس: "لأنّه أيّة مخالطة للنور مع الظّلمة وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال وأي حظ للمؤمن مع الكافر"(٢كور٦:١٥ –١٦) (القانون ٦١ من مجمع ترولو).

+ إن ممارسي السحر،وتتبّعي العادات الوثنيّة،والذين يأتون بالبعض الى بيوتهم ليقرأوا القرى ويقتلوا العزائم يقعون تحت قانون التوبة مدة خمس سنوات حسب الدرجات الموصوفة: ثلاث سنوات مع الراكعين، وسنتين مع المشتركين في الصلاة بدون قربان (القانون ٢٤ من مجمع أنقيرة).

+ من يستسلم الى أنبياء البخت والمنجمين لأي غرض من الأغراض تفرض عليه عقوبة القاتل (القانون ٧٢ من رسالة القديس باسيليوس الكبير الأولى الى أمفيلوخيوس أسقف أيقونية).

+ تأمل

" إنّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله" (١ كو ١٨:١)، " فإن الروحي يحكمُ في كل شيء (١ كو ١٥:٢) " اما الإنسان الحيواني فلا يُدرك ما لروح الله" (١ كو ١٤:٢) فإنها لَجهالةُ عند الذين لا يقتبلون ذلك بإيمان ويشكّكون في صلاح الله واقتداره العالم،بل يدقّقون في بحث الإلهيّات بأفكار بشريّة وطبيعيّة،لأنّ كلّ ما يتعلّق بالله هو فوق الطبيعة والنطق والتفكير. فإذا تساءل أحدهم كيف وبماذا ولماذا أخرج الله كل شيء من العدم الى الوجود، وأراد أن يعبّر عن ذلك بأفكار طبيعية، فهو لا يستوعبُه وتكون معرفته نفسها طبيعية وشيطانية. أما أذا انقاد على هدي الإيمان وفكّر بإنّ الإله صالح وقدير وصادق وحكيم وعادل، فهو يرى كل شيء سهلاً وممهّداً، والسبيل إليه رحباً.فإنه لا يمكن الخلاص بدون الإيمان، وبالإيمان يقوم كل شيء، بشريّاً كان أم روحيًّا، لأنّ الفلاّح بدون إيمان لا يشقّ أرضاً الى أتلامٍ ولا التاجرُ بدون إيمانٍ يزجُّ بنفسه على خشبة صغيرة في لجّة البحر الهائج، ولا الزواجات تقوم، ولا أي شيء آخر مما في الحياة.فبالإيمان نفهم خروج كل شيء من العدم الى الوجود بقوّة الله، وبالإيمان نقدِّر كل الإلهيّات والبشريّات قدرها. فأنّ الإيمان اقتناع لا يتخلّله أبحاث فارغة.

إذاً فإنّ كل أعمال المسيح ومعجزاته عظيمة جداً وإلهيّة وعجيبة. بيد أنَّ أعجبَها كلها صليبُه الكريم. فلولاه لما بَطُلَ الموت أبداً ولا انحلَّت خطيئة أبينا الأول ولا سُلب الجحيم ولا مُنحت القيامة ولا أُعطيت لنا قوّة لاحتقار الأشياء الحاضرة والموت نفسه ولا تمهَّدَ السبيل للعودة الى السعادة القديمة ولا فُتحتْ أبواب الفردوس وجلسَتْ طبيعتُنا الى يمين الله، ولا صرنا أبناء الله وورثته،لولا كان بصليب ربّنا يسوع المسيح،لأنّه كل شيء قد اصطلح بالصّليب.ولذا فإنّ الرسول يقول: "إنّ كل من اصطبغ منّا في يسوع المسيح اصطبغ في موته"(رو ٦:٣)،و(نحن جملة من اعتمادنا في المسيح قد لبسنا المسيح)(غلا ٣:٢٧)،والمسيح قوّة الله)(١كو ١:٢٤).فهوذا موت المسيح –أي صليبه –قد ألبسنا حكمة الله وقوّته الأقنوميّة.والكلمة،كلمةالصليب،هي قوّة الله،ذلك لأنّه اقتدار الله،ولأنّه انتصر على الموت وبه قد ظهر لنا،ولأنّه،على نحو ما أنّ أطراف الصّليب الأربعة ترتبط وتشتدّ في نقطتها الموسطى ،كذلك،بقوّة الله،يجتمع العلوّ والعمق الطّول والعرض أي الخليقة كلها،ما يرى وما لا يرى.

والصّليب قد أعطي لنا سمة على جبهتنا،على نحو ما دفعت الختانة لإسرائيل،والمؤمنون يتميّزون بواسطتها من غير المؤمنون فنعرفهم.وهو ترس وسلاحُ وفوزُ ضدَّ إبليس، وهو ختمُ كي لا يمسَّه مبيدُ الكل، كما يقول الكتاب. وهو نهوض الساقطين وسندُ الواقفين وعكّاز الضعفاء وعصا الرعاة وإرشاد المرتدّين وكمال الفائزين. وهو خلاصُ للنفس والجسد،وتنقيةٌ من كل الشرور ومجلبةٌ لكلّ الخيرات،وإزالة الخطيئة ونبت القيامة وعود الحياة الأبديّة.

إذاً يجب السجود للعود الكريم حقاً والمستحقّ الإكرام الذي قرّب عليه المسيح ذاته مذوبحاً لأجلنا،وقد تقدّس بلمسه الجسد والدم الأقدسين.ويجب السجود أيضاً للمسامير والحرّبة وثيابه،ولمساكنه التي هي المذود والمغارة والجلجلة وقبره الخلاصيّ المحييّ ولصهيون أمّ الكنائس ولأمثالها،على ما يقول داود أبو المسيح إلهنا:"لندخل إلى مساكن الرب ولنسجد لموطئ قدميه" (مز ١٣١:٧).والبرهان على أنّه يعني بذلك الصّليب،يؤخذ مما يأتي:"قم أيّها الرّب إلى راحتك" (مز ١٣١:٨)،لأنّ القيامة تتبع الصّليب.فإذا كان الحبيب يحبّ من محبوب بيته وسريره ولباسه،فكم بالأحرى كثيراً يجب أن نحبّ–من إلهنا ومخلّصنا–ما بواسطته صرنا مخلّصين!

القدّيس يوحنّا الدمشقيّ